

كلمة التحرير: في القوّة وبنائها

الضربات القويّة تهشم الزجاج، لكنّها تصقل الحديد
مثل قديم تمّ تحيينه حديثاً في غزّة

لا يحتاج مدح القوّة والأخذ بأسبابها إلى طول شرح وبيان، فقد حثّت الأديان والفلسفات والحكم قديمها وحديثها على السعي إلى امتلاكها في مواجهة العدو، سواء كان هذا العدو فرداً أو جماعة، وسواء أكان خارجياً أم داخلياً، بل إنّ القوّة المطلوبة في مواجهة النفس ذاتها بالوقوف في وجهها حين تميل إلى الاسترسال إلى الشهوات أو الركون إلى المذلة والهوان وقبول الصغار. فالمؤمن القويّ، في الإسلام، خير من المؤمن الضعيف، وقد حرص النبيّ العربيّ على إظهار القوّة لكفّار مكّة حين الفتح بعد أن أشاعوا أنّ أصحاب محمد هزلبون ضعفاء، فقال قولته الشهيرة، وقد كشف عن زنده الشّريف: رحم الله إمرأ أراهم من نفسه القوّة. وفي الفكر الحديث قرّظ الفيلسوف الألماني نيتشه القوّة وميّز بين أخلاق السّادة وأخلاق العبيد على أساس ما يرتضيه المرء لنفسه من سموّ ورفعة وبعد همّة، أو من هوان وذلّة وانحطاط. ومن قبل نيتشه مجّد ميكيافليّ القوّة المجرّدة بغير قليل من المبالغة.

إنّ المعنى المباشر لكلمة "قوّة" هو بعدها المادّي الملموس، غير أنّه لا قوّة مادّية إلاّ ومن ورائها وفي عمقها أساس مكين من القوّة المعنويّة، أخلاقيّة كانت أو دينيّة أو فكريّة. وليست القوّة المادّية نتيجة للقوّة المعنويّة فحسب، بل هي، إلى ذلك، دونها في صعوبة كسبها وتملكها، ذلك أنّ القوّة المعنويّة تتطلّب جهداً أكبر، ووقتها أوسع، وتدبيراً أطف وأدقّ. ولا مفرّ للأمة مغلوبة ومتخلّفة عن الأمم القويّة من أن تكون لها إستراتيجيّة ما لبناء قوّة بها تحيا وتفرض وجودها في وجه أعدائها أو منافسها. وهي إستراتيجيّة تتطلّب جهوداً متضافرة تعضدها إرادة جماعيّة وتقودها رؤية واضحة منشّدة إلى غاياتها ورهاناتها.

ونحسب، أنّنا، في مجلّة "ونقد وتنوير"، نهض بجزء من هذا الزّهان، إذ نحرص على بناء عقول نقديّة من شأنها، متى اتّصل الجهد وصدق العزم، أن يفتح البصائر على الوضع الحضاريّ، الذي تعيشه أمّتنا، بتحدّياتها وإشكاليّاته ومخاطره، بما يمكن أن تبدهه العقول وتتفتّق عنه القرائح من حلول وآفاق. ولسنا ممّن يرى أنّ الاشتغال بالفكر والعمل الثقافيّ العامّ غير ذي صلة بهموم الإنسان والأمة التي ننتمي إليها ونحمل همومها، دون أن نحوّل العمل البحثيّ والأكاديمي إلى ممارسة إيديولوجيّة سطحيّة تقدّم الإسفاف والابتذال على حساب العمق النظري والتأصيل البحثيّ.

وفي هذا السّياق يمثّل العدد 18 من المجلّة في سنتها الخامسة لبنة في ذلك البناء الذي تبلور ملامحه شيئاً فشيئاً، وعلى مهل، ولكنّ بثبات وإصرار. ولا نشكّ لحظة في أنّه في لحظة ما من التّاريخ قد يذهب بأوتاد الظلم والقهر والاحتلال والتخلّف، مهما توهم المتوهمون أنّه قد يكون "صحيحة في واد".

يصدر هذا العدد الثامن عشر ذي 25 عملاً موزعة بين مقالات ودراسات وأبحاث، متعددة في مشاربها ومناهجها ومقارباتها، ولكن، مؤتلفة في توجهها التنويري التحديثي على النحو الآتي:

حُصّ المجال التربوي بدراسة حول "سلوكيات المراهقين والمراهقات العرب داخل الأسرة والمدرسة ومع الأقران باستخدام مقياس بروفايل تقدير السلوك وعلاقتها ببعض المتغيرات دراسة ميدانية"، وتوزعت الدراسات والبحوث والمقالات في الحقل أدبي بين الشعر والنثر، وبين القديم والحديث، وبين التحليل التيمي، ومراجعة المفاهيم والمصطلحات. فمن الدراسات في الشعر الحديث مقال: "الحب في شعر نزار قباني، امرأة متعددة"، ومن القديم مقال: "جمالية التناص في الشعر الصوفي: المعارضة الشعرية في تجربة ابن الفارض أمودجا". ومن الأعمال التي تمحورت حول السرد القديم: "في مشاعية تقاليد السرد العربي القديم"، ومن الحديث: "البيت في نماذج من القصة النسائية العربية القصيرة". ومن الدراسات التي اهتمت بتدقيق المصطلح التقدي وصقله ومزيد بلورته: "دوائر اللامعقول: من تعدد المصطلحات إلى وحدة المعنى".

وانصرفت الدراسات والمقالات الحضارية إلى معالجة ظواهر راهنة، وأخرى موصولة بتاريخ مجالات جغرافية وسكانية، وبشعوب وديانات ومذاهب، فمن القضايا الزاهنة: "ثورات الربيع العربي بين الصعود والانحدار: محاولة في التشخيص". ومن الثانية: "الاحتفال في الواحات: المعتقدات والطقوس"، و"طقوس الصلاة اليهودية في تونس: دراسة ميدانية"، و"الذبيحة" بين الطقس الديني والسياسي، و"مداخل في تأسيس أنثروبولوجية محلية".

وتوزعت الأعمال المنتسبة إلى مجال اللغة إلى صنفين: تطبيقي ونظري: فمن التطبيقي مقالان: "نقد الخطاب السياسي من خلال بنيته اللغوية في علاقتها بتأثيره على الجمهور". و"مفهوم الاسترسال ومظاهره وأثره في تطوير الدرس النحوي: بحث في تعلمية اللغة". ومن النظري، مقال: "الصوت والمعنى من خلال كتاب جاكوبسون" ست محاضرات في الصوت والمعنى".

وفي المجال الفلسفي عالج الباحثون مفاهيم وإشكاليات كالدين والفلسفة، والحرية والقانون والحق، والأنطولوجيا، والفلسفة والعقلانية، والعائلة والأسطورة وعلاقتها بالدولة، والمسألة الإيكولوجية عند ماركس.... وهي على التوالي كالاتي: "المصالحة بين الدين والفلسفة، هيغل نموذجاً"، و"الحرية والقانون في فلسفة الحق عند هيغل"، و"معالم النظرية الأنطولوجية عند ابن عربي: الوجود خزائن الجود"، و"في الحاجة إلى حوار فلسفي وفلسفة حوارية: الفلسفة ورهانات العقلانية التواصلية"، و"العائلة والأسطورة وإشكالية نشأة الدولة"، و"موقع السؤال الإيكولوجي في المتن الماركسي وراهنيته".

وكان من نصيب الفن مقال تعلق بالجسد وطاقاته: "استنطاق الجسد وتمظهرات طاقاته تشكيلياً، قراءة في أعمال الرسام المنجي معتوق".

وحضر التّرجمة بمقالين أحدهما من الفرنسية، والثاني من الإيطاليّة: أما الأوّل فيعالج أزمة الفلسفة وتآكل منزلة الفيلسوف في العصر الحاضر: "جاك بوفراس، "في تآكل الفيلسوف""، وأمّا الثاني فمسألة التّعذيب والعنصرية" "التّعذيب والعنصريّة، نظريّة اجتماعيّة، تحليل تاريخيّ، دلائل تجريبية". وتُوجّ العدد بمقال باللّغة الفرنسية ذي طابع تاريخيّ، إذ طرح معاناة المقاتلين الفرنسيين وضحايا الحرب إيّان الحرب العالميّة الثانية وتداعياتها من خلال مداولات الجمعية الوطنيّة الفرنسيّة:

«Les souffrances des combattants Français et victimes de la guerre à travers les Débats de l'Assemblée Nationale Française»

ختاماً، نرجو أن يجد القارئ الكريم، المختصّ وغير المختصّ، في هذا العدد، ما به يتعمّق فهمه للظواهر والقضايا التي تشغله، وأن يجد ما يغني ذائقته ويشجّد إحساسه ويرهفه. ولا يسعنا في الختام إلا أن نشكر الباحثين الذين أثروا هذا العدد بمداد عقولهم، والمحكّمين الذين أنفقوا من جهدهم ووقتهم حتى يصوّبوا ما اعوجّ، وينبّهوا على ما اختلّ، والمدقّقين اللّغويين على جهدهم وسهرهم في تقويم العثرات وإزالة الهفوات، ولا يسعنا إلا أن نتوجّه بخالص والشكر والامتنان للجنة الفنيّة والتّقنية التي سهرت على إخراج هذا العدد في أبعى حلّة.

مدير التحرير: د. امبارك حامدي